الآثار الوضعية للأخلاق في القرآن الكريم والسنة الشريفة (دراسة تفسيرية) الآثار الوضعية للتكبر انموذجًا

The Practical Implications of Morality in the Holy Quran and Sunnah (An Interpretative Study)
The Practical Implications of Arrogance as a Model

ا.د. عادل عبد الجبار الشاطي
جامعة بابل - كلية العلوم الاسلامية

م.م. حيدر علي الذبحاوي
جامعة بابل - كلية العلوم الاسلامية

Prof. Dr. Adel Abdul-Jabbar Al-Shati
University of Babylon / College of Islamic Sciences

Assistant Lecturer Haider Ali Al-Dhibawi
University of Babylon / College of Islamic Sciences
.haider.ali@student.uobabylon.edu.iq241qur

ملخص :

يناقش خلق التكبر وآثاره السلبية على الفرد والمجتمع، مع التركيز على تعريف التكبر وأسبابه وعلاجه، بالإضافة إلى الفرق بينه وبين مصطلحات مشابهة مثل الكبر والاستكبار، وذلك في ضوء النصوص الشرعية والآيات القرآنية. يمكن تلخيص محتواه البحث على النحو الاتي

تعريف التكبر: التكبر هو تكلف الترفع على الغير بناءً على اعتقاد غير صحيح بمنزلة لا يستحقها.

يختلف عن الكبر الذي يعبر عن إحساس داخلي بتفوق الذات.المتكبر بحق هو الله وحده، لأن عظمته وكبرياءه صادقة وواقعية. أنواع التكبر: ذاتي وصفاتي: التكبر الذاتي يتعلق بشعور داخلي بالتفوق، بينما الصفاتي يتصل بامتلاك المال أو الجاه. بحق أو بغير حق: التكبر بحق يكون للفقراء الذين يستغنون بالله، أما بغير حق فهو تكبر الأغنياء على الفقراء.

آثار التكبر: التكبر يقود إلى صفات سلبية مثل الترفع في المجالس، الاختيال في المشي، واحتقار الآخرين. يؤثر سلبًا على الفرد، كما يظهر في قصة إبليس

الـذي خـسر مكانتـه بسـبب تكـبره. يُنتـج آثـارًا مجتمعيـة مدمـرة مـن خـلال ازدراء الآخريـن والاعتـداء عـلى حقوقهـم.

علاجـات التكـبر: التواضـع كعـلاج أسـاسي للتكـبر. تربيـة النفـس عـلى الخُلـق الحسـن ومواجهـة النفـس عنـد ظهـور أي بـوادر تكـبر. الفـرق بـين التكـبر والاسـتكبار: التكـبر قـد يكـون بحـق أو بـدون حـق، بينـما الاسـتكبار دائمًـا ينطـوي عـلى طلـب الكـبر بغـير اسـتحقاق. اللـه يوصـف بالمُتكـبر لأنـه يتفـرد بالعظمـة والكبريـاء، ولا يُوصـف بالمسـتكبر لأنـه لا يطلـب مـا لا يليـق بـه.

الكلـمات المفتاحيـة: ((الاخـلاق , التكـبر, الاثـار الوضعيـة, السـنة النبويـة))

Abstract:

This study discusses the concept of arrogance and its negative effects on individuals and society, focusing on its definition, causes, and remedies, as well as distinguishing it from related terms such as pride and conceit, in light of Islamic texts and Quranic verses. The research can be summarized as follows:

Definition of Arrogance: Arrogance is the deliberate act of elevating oneself above others based on a false belief in an undeserved status. It differs from pride, which reflects an internal sense of self-superiority. True arrogance belongs to God alone, as His greatness and majesty are truthful and real

Types of Arrogance: Intrinsic and Attributive: Intrinsic arrogance is an inner feeling of superiority, while attributive arrogance relates to possessing wealth or social status.

Justified and Unjustified: Justified arrogance applies to the poor who rely on God, while unjustified arrogance is the rich looking down upon the poor.

Effects of Arrogance: Arrogance leads to negative traits such as self-exaltation in gatherings, strutting in one's walk, and despising others. It harms individuals, as demonstrated in the story of Iblis, who lost his position due to his arrogance. It also produces destructive societal impacts through disdain for others and violation of their rights.

Remedies for Arrogance: Humility is the primary treatment for arrogance.

Cultivating good character and self-reflection whenever signs of arrogance appear.

Distinction Between Arrogance and Conceit: Arrogance may be either justified or unjustified, while conceit always involves seeking grandeur without merit.

God is described as "The Arrogant" (Al-Mutakabbir) because He alone possesses true greatness and majesty, but He is never described as "The Conceited" (Al-Mustakbir) because He does not seek what does not befit Him.

المقدمـة: التكـبر صفـة مذمومـة في كل مخلـوق، لأن الكبريـاء لا يليـق إلا باللـه تعالى وحـده. فالخلـق بطبيعتهـم يحملـون النقص، فـإذا تكـبر أحدهـم فإنـه يتصنـع صفـة لا تليـق بـه. والمتكـبر إمـا أن يكـون مؤمنًـا تقيًـا فـلا ينبغـي لـه أن يتكـبر عـلى أحـد، أو

فاجرًا شقيًا فهو ذليل عند الله، والذليل لا يستحق التكبر. لذلك، فإن التكبر منفي عن الخلق بكل الأحوال, التكبر قبيح مِن كل مخلوق، لأن الكبرياء لا يليق إلا لله تعالى. إذ الخَلق محل النقص، فإذا تكبر أحدهم تكلَّف لأنه اتصف بما لا يليق به، والمُفتخر المُتكبر إما مؤمن تقي فإذن لا ينبغي له أن يتكبر على أحد، أو فاجر شقي فهو ذليل عند الله والذليل لا يستحق التكبر، فالتكبر منفي عن الخلق بكل حال[١]. **المبحث الاول : مقاربات اصطلاحية**

تعُرِّفَ التكبر: هو ((تكلف الترفع على الغير لاعتقاد منزلة لنفسه لا يستحق الغير، والمتكبر في صفة الله تعالى المبالغ في العظمة))[٢]. وأيضا: ((المُتكبر المُطلق هو الذي الكل يُرى حقيرا بالإضافة إلى ذاته فإن كانت هذه الرؤية صادقة كان التكبر حقا وصاحبه مُحقا ولا يتصور ذلك على الإطلاق إلا الله وإن كانت كاذبة كان التكبر باطلا والمُتكبر مُبطلا))[٣]. أو)) : العُجُب مع ملاحظة ترفعه على المتكبَر عليه، ويلزمه ملاحظة المتكبَر عليه، ومع قطع النظر عن الغير لا يحصل التكبر، بخلاف العُجب))[٤].

أو هو: اظهار العلو، سواء كان مطابقا للواقع أو لا[٥]. ويمكن أن نعرف التكبر: هو سمو يراه لذاته بلحاظ غيره لا ينفك عنه بأي حال لغناه مع إفتقار الغير إليه، بغض النظر عن صدقه. وأما الكِبر: ((هو أن يرى نفسه فوق غيره في صفة من صفات الكمال لخلوه عنها وعما يساويها بزعمه فيحصل به في قلبه نفخة))[٦]. وهذا التعريف ناظر لمرض نفسي خُلقي. ومَن يرى نفسه فوق غيره في صفة الكمال، تحصل به هذه النفخة، ومن علاماته أو آثاره: الترفّع في المجلس، والتقدّم في الطرق، والاختِيال في المشي، والنظر بالمآقي وعين الاستحقار، وتعويج العنق وإطراق الرأس، والاتّكاء، وقيام النّاس بين يديه، والسير راكبا مع المشاة من غير علَّة، وترك الخروج إلَّا بشخص عقيبه، والاستنكاف من عمل البيت، ومن حمل السلعة، واحتمال الأذى، ولباس الدون، والغضب على من لا يبدأ بالسلام، والاهتمام بعدم إصابة الخصم المناظر والإنكار عليه[٧].

المطلب الاول : الفرق بين الاستكبار والتكبر

أن الإستكبار: طلب الكبر مِن غير استحقاق. والتكبر: قد يكون باستحقاق. ولذا صح قوله صفة لله تعالى :المُتكبر. ولا يجوز : المُستكبر[٨]. وذلك لأن الألفاظ المشتقة مِن الكبير مذكورة في حقه تعالى كالأكبر والمُتكبر، بخلاف مثلاً العظيم فإن لفظ المتعظّم غير مذكور في حقه[٩]. والتاء في المتكبر للتفرد والتخصص لا تاء التعاطي والتكلف[١٠]. ومن وصايا الحكماء: ((يا بني إياك والتجبر والتكبر والفخر فتجاور إبليس في داره، يا بني دع عنك التجبر

والكبر ودع عنك الفخر، واعلم أنك ساكن القبور))[11]. ومن الأحاديث القدسية قوله تعالى: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمت ظهره»[12]، وبيانه: إنه مَن عرف اللَّه بكبريائه وعظمته تواضع لعباده فالتكبر على الخَلق مِن العَالِم دليل على جهله، لأنه حفظ الأقوال مِن غير بصيرة فيها[13]. وينقسم التكبر الذميم على قسمين: تكبر ذاتي وتكبر صفاتي، فالتكبر الصفاتي محصور في موجبين هما: المال والجاه، فالتكبر من الناس وإن كان قبيحا شرعا وعقلا، إلا إن لصحاب الجاه والمال فيه صورة عذر. وأما مَن لا يملكهما إذا تكبر فلا عذر له، فالتكبر إذن صفة ذاتية له فلا شك نتائجه رديئة[14]. وينقسم التكبر من وجه آخر: تكبر بحق وتكبر بغير حق، فما كان بحق هو تكبر الفقراء على الأغنياء، لأستغنائهم بالله عمّا في أيديهم، وتكبر بغير حق وهو تكبر الأغنياء على الفقراء ازدراءً لما هم عليه من الفقر[15].

وأما في علاجاته فإن مَن ابتُلِي بداء مِن الأخلاق الذميمة يمكن له دفعها بما يضاده من الدواء، فالتكبر يداوى بالتواضع، وقسوة القلب بالتعطف والرقة، وهكذا[16]. ويُرَى التكبر كأنه نار رهيبة حارقة، مثل مَن صرف وطرا مِن عمره في بناء وتأثيث بيته، وفي لحظات يتحول كله إلى هباء منثور بسبب شرارة صغيرة، فالتكبر يفعل فعل النار في الحطب، فلا تنفع مع التكبر السنين المعمورة بالطاعة والبناء. والشاهد قصة إبليس اللعين! لأنه اختلطت عليه معاني الأشياء فراح يضعها حسب تصوراته الخادعة المحدودة ولم يدرك أن النار ليست أفضل وأشرف مِن التراب، فالتراب مصدر جميع البركات كالنبات والحيوان والمعادن وهو محل حفظ المياه، وبعبارة اشمل هو منبع وأصل كل كائن حيّ، وما عمل النار إلا الإحراق وكثيرا ما تكون مُخربة ومُهلكة[17]. إن خُلق التكبر يختلف كثيرا عمّا تناولناه سابقا، كون المتكبر يُنازع الله تعالى شأنه بخلاف الكذب والإستهزاء والكفر وغيرها، فهذا الخُلق الذميم قاصم لصاحبه بالعقوبة والإذلال، فعن رسول الله محمد(صلى الله عليه وآله) قال: ((يقول الله: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في ناري)). وقال أيضا: ((يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان))[18]. ومن هذا سنتتبع أثر خُلق التكبر في حياة الفرد والكون من خلال الآي الكريم.

أثر التكبر على الذات ومثاله قوله تعالى: (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا)[نوح: ٧]، عندما نتصور أن نبيا صالحا يدعو الناس الى الفطرة والحق بحسن الخلق والحكمة مع ما له مِن العمر المديد أعواما قضاها

بينهم بطبع سليم وسماحة، وبالمقابل ينال منهم شتى صنوف الأذى والتكذيب، فما يسع ربه تعالى إلا أن ينتصر له قبال الطغيان بالطغيان والتكبر بالتكبر. فلو نظرنا في هذه الدعوة التوحيدية للنبي نوح، نرى انّها جمعت بين علوم الأنفس وعلوم الآفاق، أمّا علوم الأنفس فانّ قومه استكبروا مع انّه أمرهم بالاستغفار، وهذا مِن علم الأنفس، وأمّا علوم الآفاق فإنّه ذكرهم بأن الله مَن خلق الكون وما ينتفعون به[١٩]. فكفارهم كانوا إذا بدأ نوح(عليه السلام) كلامه سدوا بأيديهم أسماعهم دفعة وأفواههم أخرى، اظهارا لقلة الرغبة في سماع كلامه وجواب مقاله ليدلوا بفعلهم على عدم الإصغاء له، إذ قد أبهموا طريقي السماع والجواب وهما الاذن والفاه، فيمسكوا أفواههم بأكفهم كما يفعل مَن يمسك عن الكلام، ويؤيده قوله تعالى: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)[إبراهيم: ٩]، فردّ الأيدي هنا يفيد تكرار فعل الشيء ثانيا بعد فعله أولا، لأنهم كانوا يكثرون الفعل هذا عند كلام رسلهم[٢٠]. والسبب في إنكارهم لدعوة الأنبياء إستطالتهم عليهم لأعتقادهم بإمكان كلّ واحد منهم أن يكون نبيّاً، فتكبّرهم واستعلائهم على الواسطة الإلهية ينطوي على الكفر بالمقامات الإلهية، وهذا يجر إلى جحد وإباء تلك الوسائط[٢١].

وإستغشائهم بالثياب حتى لا يبصروا نوحا كراهة منهم له، لأن المُبطل مُصرا بكراهة رؤية المُحقّ، ولئلّا يعرفهم نوح فيدعوهم، ففي معنى الإصرار الوارد في الآية أنهم يعتقدون بقلوبهم أنّهم متى قدروا على الذنب فعلوه[٢٢]. فتكبروا وأنِفوا عن قبول الحق، وعلّة الإتيان بصيغة (الاستفعال) أي الإستكبار: لأنهم طلبوا الكبر، وهم لم يكونوا كبراء بالحقيقة[٢٣].

المطلب الثاني : الأدلة على أثر تكبرهم الذاتي

أولا: الأمد الطويل الذي كان لهم وكذا طول فترة الإنذار من قبل نبيهم.

ثانيا: زهدهم وتكذيبهم بأطول الأجلين وهو الأجل المسمى لتلك النفس وإنتهاء صلاحية الجسد المادي الدنيوي وقبولهم بالأجل العاجل.

ثالثا: تعاقب الأجيال والتسالم على التكذيب والإستكبار لأجيال عدَّة، فكان الأب يأتي بابنه ويشهده على تكذيب نوح كما فعل ابوه له.

رابعا: أفعالهم الجسدية الدالة على الإنكار والإمتناع نحو غلق الأذنين والفاه بالأيدي واستغشاء الرأس بالثياب.

خامسا: تكرار فعلهم من السخرية منه ومن صنعه ــ السفينة ــ والمؤمنين معه.

سادسا: إصرارهم على التكذيب والإنكار

والتكبر حتى حين نزول العقاب وطغيان الماء من غير رجعة لنبيهم ليدفع عنهم النازل كما فعل فرعون وقومه، والدليل فعل ابنه والتجائه للجبل دون أبيه وربه.
سابعا: إستمرارية التبليغ دون إنقطاع أو فتور أو تراخي وذلك طول الفترة الزمنية البالغة تسعمائة وخمسون سنة ليلا ونهارا جهرا وإسرارا.
ثامنا: زهدهم في المغفرة الربانية عن ذنوبهم وكذا إستغنائهم عن كرمه تعالى من إرسال السماء عليهم مدرارا للنعم.
تاسعا: تناسب عذاب الإستأصال لتكبرهم وطغيانهم مع الإبارة وشدَّة الأخذ وعلو العذاب كالطوفان وشكل أمواجه التي كالجبال.
عاشرا: تحزبهم وتعاضدهم وتوحيد صفهم أمام الله تعالى ورسوله والدعوة الى الحق والجهر له بالعداوة والتكذيب.
لذا نجد أن للتكبر والإستكبار أثر يصم طرق ورود الحقائق مما يجعل الفرد غارق في أوهام المنعة والعزة والعظمة فلا تجد الحقائق طريقا الى إقناعه مهما وردت عليه آيات عظام، فسبيل الرشد عنده ما هو عليه لا ما يُخبر به من قبل الصادقين. حتي يصير سجية ذاتية راكزة في ذاته تقود النفس خاصته الى شتى مواطن الكبرياء.
أثر التكبر على النفس ومثاله قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا) [الفرقان: ٢١]،
الآية الكريمة تتحدث عن أثر التكبر والذي تتصف به النفوس المريضة بداء الكِبر، فلو تفحصنا الآية لوجدنا الذين لا يخافون لقاء الله وحسابه يختلقون الأعذار والحجج في إنكار الرسالات والرسل. فطلبوا رؤية الله تعالى وهذا غير ممكن لأنتفاء القدرة في القابل ـــ العين ـــ لا في الفاعل الله تعالى. ولو كانت الرؤية له سبحانه ممكنة لما كان طالبها عاتيا مستكبرا، بل كان طلبا كطلب سائر المعجزات[٢٤].
فحكى الله تعالى طلب المستكبرين بأنزاله الملائكة لتخبرهم بأن محمدا نبي، أو يرونه تعالى فيخبرهم هو بذلك، يظهر مِن طلبهم أنهم كانوا مجسمة، لتجويزهم الرؤية له سبحانه والتي تقتضي التشبيه، فبين أن إستكبارهم كان في أنفسهم، وتكبرهم وتجبرهم هذا بغير حق، فخرجوا بطلبهم إلى أفحش الظلم[٢٥]. فجعل الله تعالى الاستكبار مقدّمة لعتوِّهم الموصوف بالكبير[٢٦]. وقد أضمروا الاستكبار عن الحقّ في قلوبهم واعتقدوه، فتجاوزوا الحدّ في الظلم وبلغوا أقاصي مراتبه، لأنّهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلَّا لأنّهم بلغوا غايات الاستكبار، حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها، واقترحوا لأنفسهم الخبيثة غيرها، فكان فعلهم فعل قوم موسى(عليه

السلام) حين قالوا: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) البقرة: ٥٥. وقد تعاظموا في أنفسهم، واستكبروا وامتنعوا عن الإيمان فطلبوا آية لم تطلبها أمة قبلهم[٢٧]. وأما معنى (في أنفسهم) في الآية: أي أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال تعالى: (إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ) [غافر: ٥٦]،

المبحث الثاني انواع الكبر واثاره

المطلب الاول : انواع الكبر

وقد وصف عتوهم بالكبير للمبالغة في إفراطه[٢٨]. وقد ذُكِرَ أن شر أنواع الكِبر ما يمنع مِن استفادة العلم ومنه ثلاثة صور[٢٩]:

الأول: التكبر على الله وهو أفحش أنواعه، ولا مثار له إلا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان لنمرود وفرعون القائل :(فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) [النازعات: ٢٤] .

الثاني: التكبر على الرسل والأوصياء وهذا قريب مِن التكبر على الله سبحانه وإن كان دونه، لأنه تكبر على الرسل مع الإقرار بربوبية الله تعالى نحو: (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا) [الفرقان: ٢١].

الثالث: التكبر على العباد وذلك بأن يَستَعظم نفسه ويستحقر غيره، فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف عن مساواتهم نحو: (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءهُ الْأَعْمَى) [عبس:١-٢]، وهذا وإن كان دون الأول والثاني، فهو أيضا عظيم كونه ينازع الله في صفته التي لا تليق إلا بجلاله. فالتكبر هنا يؤثر على النفس فيصور لها شأنا ليس لأحدٍ من أقرانها مثله، مع إقرارها بربها إلا أنها تتوهم رفعتها حتى على من يأتي بالمعاجز، وذلك لأن التكبر يجعل غشاوة ووقر على طريقي المعرفة وهما السمع والإبصار، فمهما وردت عليهما من حقائق لا تأخذ تلك الحقائق طريقها الى القلوب المقفلة عن المعرفة لتعاظم الأوهام وكبر الخُيلاء في نفوسهم، فيجعل النفس ركينة الأوهام غير ملتحقة بركب باقي النفوس الصحيحة الخالية من أسقام الأمراض الأنفسية.

المطلب الثاني : اثر الكبر

أثر التكبر على الجسم ومثاله قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ) [المنافقون: ٥]، نعرف أن الجسم آلة للذات والنفس، تحركها الإرادة بحسب طاقاته، إلا بعض الحركات اللا إرادية، فلو إستبينّا حركات أجسام المستكبرين وتصرفاتهم لوجدناها قد إتَّسقت في حركات إرادية توصلهم الى غايتهم المنشودة من تكبرهم ذاك. وعليه فان التكبر يظهر في شمائل الفرد كتصعير الخد في الوجه، والنظرة الشزرة،

وإطراق الرأس، والجلوس متربعا ومتكئا، وأما في كلامه فيظهر التكبر في صوته ونغمته، ويظهر أيضا في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته، وفي تعاطيه وأفعاله وسائر تقلباته في أحواله وأعماله، فمِن المتكبرين من يحوز ذلك كله، ومنهم مَن يتكبر في بعضها[٣٠].

والآية أعلاه تتحدث عن فئة مستكبرة تلوي الرؤوس تكبرا بعدما طُلِبَت بالمجيء الى الرسول ليستغفر لهم ذنب النفاق. واللَّي هو فتل الحبل مرارا، ومنه لَيّ الرأس واللسان بمعنى إمالتهما[٣١]، فإذا نصحهم ناصح بقولٍ حقٍّ وطالبهم بالتوبة ممّا هم فيه حتى يغفر اللَّه ورسوله لهم أصروا على باطلهم وأعرضوا عن الحق، ثم هزّوا رؤوسهم ساخرين متكبرين، لأنهم يرون أنفسهم أجلّ وأعظم ممّن يحتاج إلى الرسول ورضوانه كما يزعمونٌ[٣٢]. فلو يراهم رآئي لوجدهم يعرضون عن القائل وهم مستكبرون عن إجابة قوله ويميلون الرؤوس هزوا واستكبارا[٣٣]. وقد وصل بهم التكبر والغرور مبلغا حرمهم مِن استثمار الفرص والاستغفار والتوبة والعودة لطريق الحق والصواب، وذلك حبا منهم لأنفسهم واعتزازهم بذواتهم، جعلهم أبعد ما يكونوا عن الإسلام، والذي يعني التسليم والرضا والاستسلام الكامل للحق، فبدت منهم هزّة الرأس إعراضا واستكبارا[٣٤]. وتخبر آية أخرى: (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) [نوح: ٧]، أن المستكبرين مِن قوم نوح كانت لهم أعمال وتصرفات متحدة عند دعوته لهم، نحو جعل أصابعهم في آذانهم والإستغشاء بالثياب، وهذا كناية عن استنكافهم مِن الاستماع إلى دعوته، وأما تغطية الرؤوس حتى لا ترى أعينهم شخصه ولا يعرف وجوههم وهذا كناية عن التنفر وعدم الاستماع إلى قوله، لذا هم ألحّوا على الامتناع من الاستماع واستكبروا عن قبول الدعوت استكبارا عجيبا[٣٥]. وكذا في آية أخرى يظهر تصرفهم العملي مِن جرآء سماع الحقيقة بحكاية الله تعالى (ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ) [المدثر: ٢٢-٢٣]، فالتعبيس هو قلب الوجه وتقطيبه، والبَسر هو قبض ما بين العينين من السوء وإسوداد وجهه جرآء ذلك الأمر، وحاصل المعنى: قاتله اللَّه كيف قدّر في آياتنا ما قدّر مع وضوح الحجّة فقطب وجهه وما بين عينيه وأعرض عن الحقّ ولم يقرّ به واستكبر عن اتّباعه[٣٦]. فالادبار والاستكبار هما من الأحوال الروحية، ورتّبهما تعالى في التمثيل على النظر والعبوس والبسور وهي مِن الأحوال الصورية المحسوسة لظهورها على الجسم[٣٧]. نلحظ مِن جملة هذه الآيات الكريمات أن أثر التكبر يظهر على الجسم ويضبط في تصرفات تكاد تتوحد في عموم المستكبرين نحو

إمالة الرأس وتقطيب الجبهة وبسر الوجه والإعراض بالجسم عن المتكلم وتركه وإظهار عدم الإهتمام بالخصم والبخترة في المشية وبدو الضحك وحركات الإستخفاف وغير ذلك، فلو اطَّلع عليهم مُطَّلِع مِن دون معرفة أمر الخلاف لوجد الذين يفعلون هذه الأفاعيل مستكبرين عن قبول الحق مستنقصين شأن أهله غير مبالين بالخصم مهما كان شأنه. أثر التكبر على الجسد ومثاله قوله تعالى: (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ) [القصص: ٣٩]، الآية الكريمة تثبت تكبر الطغمة العاتية فرعون وحاشيته وحتى جنوده، فالآية نسبت التكبر لفرعون أولا كقائد ثم أشركت الجند لما لهم مِن السمع والطاعة له، فالظاهر أن تجنيدهم كان وفق ضوابط وإمتيازات خاصة جعلتهم على أعلى درجات الإلتزام، بحيث لا يفكر أحدهم بأنه وقيادته ضالون. فعن سائل قال: سألت أبا عبد الله(عليه السلام) عن أدنى الالحاد، قال: (إن الكبر أدناه)[٣٨]. فالإلحاد إنكار وجود الخالق، والتكبر على الخالق يقارب إنكاره. ففرعون وجنوده تكبّروا على اللّه تعالى وعلى رسوله، وقيل أن موسى(عليه السّلام) قال له: يا فرعون آمِن ولك مُلكك، فقال: حتّى أشاور هامان، فشاور هامان فقال له هامان: بينما أنت ربّ تُعْبَد إذ صرت عبدا تَعبُد فاستنكف عن عبوديّة خالقه[٣٩].

ويذكر مَن يكتنز تفسيره النحو والبلاغة إن الظاهر استمرار فرعون على الكفر والمعاصي الموجبة لما حل به يَدُّل عليه التعبير بكان والفعل المضارع، ومع الإيمان لا استمرار، لقوله تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [العنكبوت:٤٠]، وإن نظم اسمه في سلك مَن ذُكِر معه قارون وهامان ظاهر أيضاً في المدعى. وأُيِّد بالدليل (أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) [طه: ٣٩] حيث أن عدو هنا صفة مشبهة وهي للثبوت، فيدل على ثبوت عداوته لله تعالى وعداوته لموسى(عليه السلام) وثبوت احدى العداوتين كاف في سوء حاله، وأما إيمان البأس واليأس غير مقبول بدون شك، وكذا إيمان المخذول فهو مِن هذا القبيل، وأن إجماع الأئمة المهتدين على عدم القبول ومستندهم فيه الكاتب والسنة[٤٠]. وكلامه تعالى في الآية دال على عِظم شأنه وجلال كبريائه، فشبههم استحقارا لهم مع كونهم جَمّ غفير بكفٍ مِن تراب أخذه الإنسان بكفه وطرحه في البحر[٤١]. فعظَّم سبحانه أخذه وعذابه بقوله(أخذناه) وحقَّره وجنده الذين ظاهروه على الكفر والطغيان كأنه أخذهم باليد ثم طرحهم وبكل مهانة كمن يأخذ جَرادة ويطرحها في مهلكة البحر، قاصدا البحر الأحمر في

مصر[٤٢]. فأنفوا وتعاظموا عن قبول الحق واتباع موسى فأنكروا البعث وشكوا فيه، فعاقبهم وطرحهم في البحر وأهلكهم بالغرق[٤٣]. ولما كان تعاظمهم وعلوهم على الناس أيضا، أخذتهم العزة بالإثم، وعاثوا في أرض الله شرا وفسادا، مِن أثر عدم إيمانهم باللَّه واليوم الآخر، ولا بمبدأ وضمير حيّ، ولا بشيء آخر إلا بأنفسهم ومنافعهم الدنيوية، فأخذهم جل وعز أخذ عزيز مقتدر، قيل في ذات اليمّ الذي ألقت أم موسى وليدها فيه خوفا من فرعون عليه، فالتقطه هذا العدو للَّه وله لينتفع به أو يتخذه ولدا، ولما شبّ موسى وكبر حاول جهده أن ينفع فرعون وينقذه من الهلاك والعذاب، ولكنه نفر وتكبّر، فكان عاقبة أمره ان أهلكه سبحانه في نفس اليمّ الذي أُلقِي فيه موسى، والتقطوه منه آل فرعون، وفي ذلك لعبرة لأولي الأبصار[٤٤]. أعتقد أن اليمّ الذي ألقي فيه موسى هو النهر. لأن مَن يلقي شيئا فيه تعيده الأمواج عليه قبالا، لذا يكون النهر أولى بالإلقاء لأن من يلقي شيئا ينحدر أفقيا مع تياره فيمر بمناطق متغايرة بحسب مجراه وهذا بخلاف البحر لأنه يعود عليه عموديا. ثم أن مَن يسكن بجوار البحر يرى تقلبات جوية شديدة منه، بخلاف مَن يسكن بجوار النهر فلا يرى منه ذلك. وأن أمواج البحر عاتية تغرق راكبها أو تحطمه، ولا نرى ذلك في أمواج النهر. والبحر حد دولته والنهر في منتصفها فآمن له السكن في المنتصف لا في الحدود.

وحتما أنه تعالى لا يحتاج إلى أوصاف البطش كهذه ولكن حالة التكبر والعدوان تستولي على الإنسان فينسى ربَّه، ويمتلئ بريح الكبر والغرور فكره، ولكن إلى أين وصل هذا الغرور بهم؟. يذكر أحد المفسرين أن سبب موتهم كان مصدر معيشتهم قاصدا النيل الذي هو رمز عظمتهم وقوتهم فكان مقبرة لهم، فرماهم الله تعالى رميَّ الأشياء التي لا قيمة لها وطرحها بعيدا، فما قيمة هذا الإنسان الأناني المتكبر المتجبر الجاني المجرم، فطهّر سبحانه الأرض مِن لوث وجودهم[٤٥].

أعتقد أن ما غرقوا فيه هو البحر لا النهر. وذلك الإستنتاج مبني على جملة أمور منها: أن العمق للبحر أكبر ممّا في النهر، فيكون سببا للإهلاك آكد. ثم ما يكون فلقيه كالطود العظيم يشير الى البحر لعمقه لا النهر، قال تعالى (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ)[الشعراء: ٦٣]. وأيضا غاية الهروب لموسى وقومه الى جهة لا سلطان لفرعون فيها، فيكون ما ورآء البحر أولى منه الى النهر والذي كان سلطانه مبسوط عليه وضفتيه. وقوله تعالى يصف حالهم بعد الهروب بقوله تعالى (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ

قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) [الأعراف: ١٣٨]، فعبورهم البحر يوحي الى خلاصهم مِن سلطان فرعون، كما قال شعيب وهو يسكن بلاد الشام لموسى عند هربه بسبب قتله للقبطي (فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[القصص: ٢٥]، ويعضد ما أخترناه رواية أمير المؤمنين (عليه السلام) نكاية ببعض اليهود الشامتين: حيث قال له بعض اليهود: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه، فقال عليه السلام له: إنما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) [الأعراف: ١٣٨][٤٦]، فالإمام إختار البحر في مقولته لا النهر.

فمن أثر التكبر الذي ظهر على جسد فرعون، جُعِلَ بدنه آية دالة على مَن كان التكبر دأبه في بقاء جسد مُدعي الربوبية العليا علامة عليا في التنكيل والحظيظ، فكلما عاينه جبار أو منكر أو متكبر على الحق يرى في جسده العبرة والموعظة لمن كان له قلب حيّ، والعجيب ما نراه اليوم أنهم يمرون عليهم بالدراسة والتحليل والعرض بالمتاحف والتقارير من غير إتعاظ، وذلك إما للتكبر نفسه الذين يعيشونه فلا يتعظون، وإما لجهالة مركبة أو بسيطة حالت دون الإتعاظ. وبما أن فرعون هو مصدر التكبر والتجبر وعنه أخذ آله وجنده ذلك الكبر، لذا جعله سبحانه آية دونهم مع إشتراكهم جميعا بنفس الأخذ والعقوبة. فكأن الإهلاك غير كاف له لسوء ذنبه فإقتضت الإرادة الإلهية أن يبقى جسده سالما تعاينه أبصار الصالحين والطالحين الى يوم الدين يلعنونه. وما أردنا بيانه أن للتكبر أثر واضح على الجسد، مِن صوره ما ظهر على جسد اللعين فرعون، فمع علو الماء عليه وعمق البحر أطفاه تعالى لآل فرعون وقومهم ومَن كان بعدهم ليكون عبرة لنكال الأخذ والمهانة.

أثر التكبر على الاسرة ومثاله قوله تعالى (وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ) [العنكبوت: ٣٩]، الآية الكريمة تذكر أسماء ثلاثة من الجبابرة الذين كل واحد منهم مَبرَز للقدرة الشيطانية، فقارون كان مَظهَر للثروة المقرونة بالغرور وعبادة الذات والأنانية والغفلة، وفرعون كان مَظهَر للقدرة الاستكبارية المقرونة بالشيطنة، وهامان مثال لمن يُعيّن الظالمين المستكبرين، وبعد إتيانِهم بالبينات والدلائل استكبرا، فاعتمد قارون على ثروته وخزائنه وعلمه، واعتمد

فرعون وهامان على جيشهم وقدراته العسكرية، وعلى قوة إعلامهم وتضليلهم لطبقات الناس المغفلين، ومع كل ذلك لم يفلحوا، فأمر سبحانه الأرض والتي هي مهد الاطمئنان والدعة أن تبتلع قارون، وأمر الماء والذي هو مصدر الحياة أن يبتلع فرعون وهامان معا، ولم يعبئ جنود السماوات والأرض جميعا لإهلاكهم، بل ما كان مصدر حياة المستكبر أمره أن يكون سببا لفنائه[٤٧]. وقد قدم قارون لشرف نسبه على فرعون وهامان[٤٨]، لأنه من قوم موسى وذا قرابة له قال تعالى(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى) [القصص: ٧٦]. فاستمرار فرعون على الكفر والمعاصي مع عظيم الآي وتعدده أوجب ما حل به وكذا عداوته لخالقه والرسول كافية لبيان سوء خُلقه، ومنشأ جميع المعاصي والطغيان والكفر هو: الاستكبار والأنانيّة، فانّ الإنسان إذا رأى نفسه وتوجّه اليها وأحبّها فإنه يتوجّه إلى بقائه ويحبّ وجوده وأفكاره وأعماله، ويبغض كلَّ ما يتظاهر ويتجلّى أمام وجوده وبقائه وحياته، لذا يريد إفناء كلّ مخالفيه ومعارضيه، وبالحديث عن فرعون نجد اشتقاق كلمة فرعون من مادّة(فارع) وهي بمعنى القتل والانتقام والغارة، أو من(فرع) بمعنى الهرج وفقدان النظم وخروج شيء وعلوّه من جدار أو شجرة، وهذا المعنى يناسب المادّة العربيّة لمفهوم الخروج والاعتلاء، قال تعالى (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) [يونس: ٨٣]، فكلمة فرعون تعطي معنى: المُعتلى الخارج عن الحدّ والظالم[٤٩].فهي وإن كانت أسم للمنصب إلا ان اختيارها يناسب ما فيه وله من قدرات قاهرة وظالمة للعباد. وفي الرد على الجبرية من قوله تعالى(فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [العنكبوت: ٤٠]، من إكتساب العبد لعمله فقال: أخذنا بذنبه، ولم يقل: بفعلنا لأنه تعالى أعدل من أن يعذب العبد على فعل أجبره عليه[٥٠]، فيشير ذلك لأكتساب فرعون ومن معه لعملهم بالإختيار فأوجب لهم سوء الدار. ولو آمن فرعون لآمن الكل، وهذا بخلاف الأقوام الذين كانوا قبلهم وبعدهم[٥١]، وهذا يبرز مدى تعاظم ذنبه باكراه العباد على عبادته وترك العبادة الحقة وحيفه على موسى وقومه. ولما أفرغ فرعون مكنون مكره ثم بهُت اضطربت نفسه، وراح يهدد ويتوعد بالسجن المستلزم للتنكيل والتعذيب وهو آخر أسلحة الطغاة منذ القِدم ضد أهل الحق والعدل والحرية، ولكن بثبات المجاهدين المحقين إرتد عليهم مكرهم[٥٢]. فأخذهم رب العزة بذاك الأخذ الأليم. والمهم عندنا هو ما وراء ذلك الأخذ، فالسيدة

آسية بنت مزاحم تبرأت من ذاك المتكبر(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[التحريم: ١١]، وهنا حكى الله تعالى طلبها بأن يخلصها من نفس فرعون الخبيثة وعمله السيء وأيضا من قومه القبط التابعين له في الظلم[٥٣]. وعندما تبيّن لفرعون إسلام زوجته طالبها بالتراجع فأبت فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وربّطها في شمس أرض مصر، فأمر رب الرحمة ملائكته أن يظلّوها بأجنحتهم وأراها بيتها الذي طلبته في الجنّة فأنساها جمال المنظر أليم عذاب فرعون وتبسمت فأوقعوا عليها حجرا كبيرا فما وصل إليها حتّى رفع روحها إلى الجنّة فطاح الحجر عليها بعد خروج روحها[٥٤]. فايمانها بالله ورسوله وكفرها بزوجها ودينه جعله يرسل رجاله لينظروا أعظم صخرة يجدونها فيجلبوها لإخافتها فإن بقيت على الايمان باللّه فالقوها عليها، وان تراجعت فهي امرأتي، فألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح[٥٥]. هنا نرى سيرة حياة المستكبرين في كل فعل وقول نفس كبريائهم ظاهر جلي لا يعرفون العطف أو الرحمة ولا الإنصاف فيصيبون به القاصي والداني القريب والبعيد، فزوجة صالحة مثل السيدة أسية وإن خالفتك بالعقيدة لا تستحق هذا التفريط والقسوة لما يختلجها من العطف والرقة الظاهرة في تبني موسى وهو صغير وتقبلها للدين الإنساني، وعندما ننظر الى الأنبياء الذين إبتلاهم ربهم بزوجات كوافر تبقى العلاقة الزوجية مستمرة وفق ما يرتضيه الطبع والشرع، بخلاف المستكبرين فانهم يعمدون الى تلك الأواصر بالتبديد. فالتكبر يعمي صاحبه حتى عن أقرب الناس إليه وأحبهم عنده ثم ينزل أعظم ما في جعبته من آلام وحيف وبطش بمخالفه لما يجد نفسه ذات عظمة ورفعة تميزه دون غيره من البشر.

أثر التكبر على المجتمع ومثاله قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) [الأعراف: ٨٨]، غالبا ما يصدر التكبر عن جماعة الأشراف في الأمة لما يرون حقيقة ما لهم من علو سيادي ولوازمه المال والقوة، وتارة يصدر عن الضعفاء وهذا قليل عادة. والآية اعلاه تخبر عن علّية القوم الذين رفعوا أنفسهم فوق مقدارها فعتوا وطغوا من قوم شعيب(عليه السلام) متوعدين من يخالف عقيدتهم بالإخراج من بلدهم أو العود في ملتهم المنحرفة ولا خيار ثالث[٥٦]. وهذا يدل على أن زمام الملك كان في أيديهم. فامتنعوا من اتباع الحق أنفة منهم عن الداعي إليه وهو الحق، فاستكبروا جهلا منهم بمنزلة الحق ومنزلة الداعي إليه، إذ أنهم قالوا لشعيب وأقسموا بإخراجه والمؤمنين من القرية

أو العـود في ملتهـم الضالـة[٥٧]. إن منطـق المُنصـف لا يحمـل أحـدا عـلى مـا يكـره، كـما لا يحـب أن يحملـه أحـد عـلى مـا لا يريـد، لأن الإيمـان لا يكـون بالإكـراه، ومـن كان مؤمنـا حقـا يؤثـر الإقامـة في وطـن مـا عـلى دينـه وعقيدتـه[٥٨]. وكانـوا امـة مـن الأمـم السـالفة بعـث إليهـم ربهـم شـعيبا(عليه السـلام)، وكان عليهـم ملـك جبـار، لا يطيقـه مـن ملـوك عـصره أحـد، وكانـوا ينقصـون المكاييـل والميازيـن، مـن غير فاقة ويبخسـون أشـياء النـاس، مـع كفرهـم بالله وتكذيبهـم لنبيـه ومـا يدعـو إليـه مـن صلاحهـم، وكانـوا يسـتفون مـا كان لهـم وينقصـون مـا كان لغيرهـم، مـع مـا هـم فيـه مـن سـعة العيـش، فأمرهـم الملـك باحتـكار الطعـام والتنقيـص، طالبـا الشرعنـة مـن شـعيب عـلى مـا يفعلـون فأجابـه بالنكـران وبأنـه ملـك فاجـر[٥٩]. وهنـا نجـد أنهـم يملكـون أدوات القيـاس والمكيـل إلا أنهـم يتلاعبـون بالكميـات والجـودة وهـذا مـا نسـميه اليـوم بجهـاز التقييـس والسـيطرة النوعيـة، فهـم عندمـا يكـون الأخـذ منهـم يكـون مسـتوفيا للشرائـط وعندمـا يكـون لغيرهـم يتلاعبـون بـه كـمّا ونوعـا، كونهـم علّيـة القـوم وكبّـار التجـارة. متهمـين نبيهـم بالضـلال ويسـتهزئون بصلاتـه وإنهـا مـن تأمـره بنبـذ عبـادة آبائهـم الضالـة والفعـل بأموالهـم مـا يشـاؤون فـآذوه بالنفـي مـن بلادهـم، فسـلط اللـه عليهـم الحـر والغيـم حتـى أنضجهـم، فلبثـوا فيـه تسـعة أيـام، حتـى صـار ماؤهـم حميـما لا يسـتطيعون شربـه ، فانطلقـوا إلى غيضـة لهـم، ولهـذا أسـماهم اللـه تعـالى بأصحـاب الأَيْكَـةِ، فرفـع سـبحانه لهـم سـحابة سـوداء، فاجتمعـوا في ظلهـا، ثـم أرسـل عليهـم نـارا منهـا فأحرقتهـم، فلـم ينـج منهـم أحـدا، وذلـك قولـه تعـالى: (فَكَذَّبُـوهُ فَأَخَذَهُـمْ عَـذَابُ يَـوْمِ الظُّلَّـةِ إِنَّـهُ كَانَ عَـذَابَ يَـوْمٍ عَظِيـمٍ) [الشـعراء: ١٨٩][٦٠]. وقيـل: بعـث اللَّـه عليهـم صيحـة واحـدة فماتـوا عـن أبي عبـد اللَّـه عليـه السـلام[٦١]. وهـذا لقولـه تعـالى(وَلَـمَّا جَـاء أَمْرُنَـا نَجَّيْنَـا شُـعَيْبًا وَالَّذِيـنَ آمَنُـواْ مَعَـهُ بِرَحْمَـةٍ مِّنَّـا وَأَخَـذَتِ الَّذِيـنَ ظَلَمُـواْ الصَّيْحَـةُ فَأَصْبَحُـواْ فِي دِيَارِهِـمْ جَاثِمِـينَ)[هـود: ٩٤]. أي الزلزلـة، أو الصيحـة، الموجبـة للرجـف والاضطـراب فهلكـوا في محلهـم وقريتهـم ميتـين ملقـين لا حـراك فيهـم[٦٢]. والصاعقـة عنـد التحقيقـات العلميـة الحديثـة هـي شرارة كهربائيـة عظيمـة تحـدث بـين الغيـوم التـي تحمـل الشـحنات الكهربائيـة الموجبـة، وبـين الأرض ذات الشـحنة السـالبة، فتصيـب عـادة قمـم الجبـال والأشـجار وأي شيء مرتفـع، وفي الصحـاري المسـطحة تصيـب الإنسـان والأنعـام كونـه الأعـلى فيهـا، وهـذه الصعقـة ذات حـرارة شـديدة للغايـة بحيـث أنهـا تصـير الأشـياء رمـادا، وتحـدث صوتـا مهيبـا وهـزة أرضيـة قويـة في ذات المـكان المـضروب، وهـذا مـا عاقـب بـه بعـض الأقـوام مـن الأمـم السـابقة، والى اليـوم ومـع التقـدم الهائـل في العلـم ظـل العلـم عاجـزا

عن اكتشاف وسيلة لمنع وقوعها[٦٣]. وقيل: إنّ لشعيب قومان قوم أهلكوا بالرجفة، وقوم آخرين هم أصحاب الظلّة، وهذه معجزة لشعيب فهذا العذاب العظيم النازل من السماء لما وقع على قوم دون قوم مع أنّهم مجتمعين في قرية واحدة[٦٤]. ويمكن تبنّي هذا القول لأن من يجلس تحت الأيكة حتما مجموعة قليلة يحتمل أنهم وجهاء القرية وحاكميها لا كل أُناسها، فأحرقهم سبحانه بالنار، ثم عمد الى باقي سكان القرية بالصيحة التي تعم كل فرد في مكانه سواء كان في الدار أو خارجها تحت الشجر أو في مغارة. إن الكف عن إفساد الأرض خيرا لهم من سلب الامن العام لأن الإفساد يوقف رحى إزدهار المجتمع عن حركته، وذلك من جميع الجهات لأن فيه هلاك الحرث والنسل وفناء الانسانية[٦٥]. وهذا هو أثر تكبرهم على نبيهم وعلى الحق والإصلاح، فلو كانوا مُسَلِمين لنبيهم ما حل بهم ذلك الحيف والإهلاك، فتفتَّت مجتمعهم وتفرقت وحدتهم وغاب عن وجه البسيطة شخصهم وحلت أرضهم لغيرهم بسبب إخراج المصلحين الصالحين خارج حدود قريتهم والإبقاء على الفاسدين المفسدين. والعجيب أن مثل هؤلاء يجتهدون في تغييب مثل هذه الثلة الصالحة، وهم يعلمون أن أعمالهم هذه ترجع عليهم بالخسران، فتجارتهم ومكيلهم وأوزانهم دُولَة بينهم. فلِما لا ينظمون أمرهم على نسق الحق والفطرة السليمة؟ فتكبرهم عاد عليهم بصيحة كبيرة عاتية أهلكتهم ونار عظيمة أتلفت أخضرهم ويبسهم مما جعلهم آية عالية تشهد على تجبرهم وإستكبارهم وعبرة للمستكبرين بعدهم.

أثر التكبر على الكون ومثاله قوله تعالى:(فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) [فصلت: ١٥]، لمّا عرَّفنا الخُلق سلفا ذكرنا في تعريفه أنه لا يخلو من الفرد نهائيا وإنما يربو أو ينضب بحسب مراعاته، وقد يجتمع حسنه وقبحه معا في الفرد لا بنفس الفعل، ويمكن إجتماع أكثر من خُلق ذميم في الفرد. لذا نجد تكرر ذكر قوم عاد في عدَّة سور مع إبراز ذلك الخُلق المذكور الموجب للإبارة. وفي الآية أعلاه يذكر الله تعالى تكبرهم الذميم مع أخذ عباده بالبطش والتنكيل من غير مراعاة خالقهم والإستحياء منه، فتعاظم غضب الجبار عليهم فأنزل سخطه بهم، وهذا ما نشهده اليوم من دول الإستكبار العالمي ومحور الشر بقيادة أمركا ومن لف لفهم وأغتيال الصالحين على وجه الأرض أو تركيعهم وإبادة شعوبهم كالهنود الحمر والشعب الفلسطيني وغيرهم. فمن خطبة لأمير المؤمنين(عليه السلام) قال: « واتعظوا فيها بالذين قالوا: * (مَنْ أَشَدُّ

مِنَّا قُوَّةً) * حُملوا إلى قبورهم فلا يُدعون رُكبانا، وأُنزِلوا الأجداث فلا يُدعون ضيفانا، وجعل لهم من الصفيح أجنان، ومن التراب أكفان، ومن الرفات جيران »[٦٦]. فقوم عاد تجبروا وعتوا في أرض الله وتكبروا على أهلها بغير الحق مع الكفر المحض والظلم الصراح، واغتروا بقوتهم لما هددهم نبيهم بالعذاب وأعتقدوا بأن لا أحد أشدَّ منهم قوة، فأنكروا من زودهم بقواهم على ضعفهم[٦٧]. وقد كفروا بالأدلة الكونية الدالة على وحدانية اللَّه وعظمته، واعتقدوا بأن كل ما في الكون من حياة وإحكام ونظام هو من عمل الطبيعة[٦٨]. وقيل أن الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده لشدة بنيته العضلية[٦٩]. فأظهروا النخوة والكبر والاستعلاء مع استخدامهم لعباد الله بغير حقّ جعله لهم بل لكفرهم وبغيهم الصرف، واغترّوا بعظيم قوتهم وكانوا مخصوصين بكبر الأجسام، فلو كانت الزيادة في القوّة توجب على الناقص طاعة الكامل، لوجب كونهم منقادين مطيعين للَّه بارئهم، لأنّه هو الأقوى، ولكن لا يعترفون بذلك، ولمّا ثبت بالعقل أنّ مجامع الخصال الحميدة توجب على العبد التعظيم للخالق والمولى، فهم قد بلغوا في الصفات الخبيثة المذمومة الموجبة للنفي والإبارة إلى الغاية القصوى حبّا منهم للدنيا[٧٠]. فخُلق التكبر يقف أمام قبول الحق فيرفضه، لأنه يغلق على صاحبه جميع سبل الهداية ويذره يتخبط في متاهات المعاصي والضلال، إن زهو المال والقوة قد يوقع الإنسان في حالة إستكبار، لكن كل رافض لقبول الحق يُعَد مستكبرا ولو كان فقيرا[٧١].

فرأف بهم ربهم وأرسل الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم، كناية عن دعوتهم من جميع الطرق الممكنة كالخلوة والجلوة وفرادى ومجتمعين السابق منهم والحالي بالتبشير والانذار[٧٢]. فعاقبهم بريح صرٍّ باردة مُهلكة لا محالة لسرعتها ولشدّة بردها ولصوتها العال[٧٣]. فبملاحظة الذنب والعقاب نرى رد الفعل على تكبرهم وشدة بطشهم، كبر العقاب وشدته في أخذهم، فناسب سبحانه بين قوة الأجسام وعظيم الآثام مهول الأخذ، ريح ذات سرعة عالية يولد صوت مفزع ببرد شديد مع نحاسة الأيام دامت عليهم سبع ليال وثمانية أيام، فكانت هول لم يسجل في الأرض الى يومنا هذا، طاف بهم فأهلكهم مع دوابهم وزروعهم وأبنيتهم فكانوا بوارا، فجعبة العقوبات عنده تعالى لا تخلو أبدا ولكن نرى تناسب كل عقوبة مع الذنب، فمنظر الأمس يباين جذريا منظر اليوم من عدة نواحي.

الخاتمة: في ضوء ما تم استعراضه، يظهر أن التكبر ليس مجرد شعور نفسي أو صفة سطحية، بل هو مرض قلبي يعكس سوء فهم للمكانة الحقيقية للإنسان أمام الله تعالى. يتجلى التكبر في استعلاء الشخص

على الآخرين أو في نظرة متعالية تجاه من هم أقل منه منزلة، وقد يتحول إلى عناد واستكبار في مواجهة الحق. التكبر لا يقتصر على الأشخاص الذين يمتلكون المال والجاه، بل يشمل جميع من يتصورون أنفسهم فوق غيرهم بغض النظر عن الواقع. هذه الآفة تؤدي إلى فساد النفس وتهدم قيم التواضع والعدالة، كما يظهر من خلال تفسير الآيات القرآنية وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله.

الهوامش:

١- ظ: عون المعبود: العظيم آبادي(ت: ١٣٢٩هـ)، ١٦/١٤.

٢- رسائل الشريف: الشريف المرتضى(المتوفى: ٤٣٦هـ)، تقديم بعد تحقيق: أحمد الحسيني اشراف واعداد من قبل مهدي الرجائي، نشر: دار القرآن، مطبعة الخيام, قم , (١٤٠٥هـ)، ط: ١، ٢٦٦/٢.

٣- المواقف: الإيجي(ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، طباعة ونشر: دار الجيل(بيروت: ١٤١٧هـ)، ط: ١، ٣١٧/٣.

٤- ظ: مصباح الهدى في شرح عروة الوثقى: الشيخ محمد تقي الآملي(ت: ١٣٩١هـ)، نشر: بلا، مطبعة: مصطفوي(ايران: ١٣٨١هـ)، ط: ١، ٤٦٣/٣.

٥- الموسوعة الفقهية الميسرة: الشيخ محمد علي الأنصاري(معاصر)، : مجمع الفكر الإسلامي، مطبعة: مؤسسة الهادي(بلا: ١٤١٨هـ)، ط: ١، ٤٥٧/٢.

٦- تحفة السنية في شرح نخبة المحسنية: السيد عبد الله الجزائري(ت: ١١٧٣هـ)، تحقيق: شرح الجزائري، المطبعة: بلا، ط: بلا،٥٣.

٧- ظ: النخبة في الحكمة العملية والأحكام الشرعية: الفيض الكاشاني(ت: ١٠٩١هـ)، تحقيق وتقديم: مهدي الأنصاري القمّي، نشر: مركز الطباعة والنشر لمنظّمة الإعلام الإسلامي، مطبعة: رويداد(بلا: ١٤١٨هـ)، ط: ٢، ٦٥.

٨- ظ: الفروق اللغوية: أبي هلال العسكري(ت: ٣٩٥هـ)، ٤٩.

٩- ظ: تفسير الرازي: فخر الدين الرازي(ت: ٦٠٦هـ)، ١٤٤/١.

١٠- ظ: بحار الأنوار: العلامة المجلسي(ت:

١١١١هـ)، ٥٩/٨٨.

١١- : الاختصاص: الشيخ المفيد(ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري ، السيد محمود الزرندي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت: ١٤١٤هـ)، ط: ٢، ٣٣٨.

١٢- الوافي: الفيض الكاشاني(ت: ١٠٩١هـ)، عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني « العلامة » الأصفهاني، مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (ع) العامة، طباعة أفست نشاط (صفهان: ١٤٠٦ هـ)، ط:١، ١٦١/١.

١٣- ظ: الوافي: الفيض الكاشاني(ت: ١٠٩١هـ)، عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني « العلامة » الأصفهاني، مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (ع) العامة، طباعة أفست نشاط (صفهان: ١٤٠٦ هـ)، ط:١، ١٦١/١.

١٤- ظ: فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي(ت: ١٠٣١هـ)،٤٣٧/٣.

١٥- ظ: تفسير السلمي: السلمي(ت: ٤١٢هـ)، ٢٤٣/١.

١٦- ظ: فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي(ت: ١٠٣١هـ)، تحقيق: تصحيح أحمد عبد السلام، طباعة: دار الكتب العلمية(بيروت: ١٤١٥هـ)، ط:١، ١٤٢/١.

١٧- ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٦٧/٨.

١٨- مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي(ت: ١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث(بيروت: ١٤٠٨هـ)، ط:٢، ٣١/١٢.

١٩- ظ: حاشية ابن ادريس على الصحيفة السجادية (موسوعة إبن إدريس الحلي): ابن إدريس الحلي(ت: ٥٩٨هـ)، تحقيق وتقديم السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان، نشر: العتبة العلوية المقدسة(النجف الأشرف: ١٤٢٩هـ)، ط:١، ٧٠.

٢٠- ظ: بحار الأنوار: العلامة المجلسي(ت: ١١١١هـ)، ١١/هـ ص ١٨ .

٢١-ظ: تقرير بحث الإمامة الإلهية: الشيخ محمد السند للسيد بحر العلوم(معاصر)، تحقيق: صادق الشيخ محمد رضا الساعدي، منشورات الإجتهاد (قم المقدسة: ١٤٢٧هـ)، ط:١، ٢ــ١٢٠/٣.

٢٢- ظ: تفسير مقتنيات الدرر: مير سيد علي الحائري الطهراني (ت: ١٣٥٣هـ)، ٢٥٥/١١.

٢٣- ظ: تقريب القرآن إلى الأذهان: السيد محمد الحسيني الشيرازي(ت: ١٤٢٢هـ)، ٥١٨/٥.

٢٤- ظ: المواقف: الإيجي(ت: ٧٥٦هـ)، ١٧١/٣.

٢٥- ظ: التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي(ت: ٤٦٠هـ)، ٤٨٢/٧.

٢٦- ظ: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: الشيخ حسن المصطفوي، ٣٠/٨.

٢٧- ظ: تفسير السمعاني: السمعاني(ت: ٤٨٩هـ)، ١٤/٤.

٢٨- ظ: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ)، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم(مصر: ١٣٨٥هـ)، ط: بلا، ٨٨/٣.

٢٩-ظ: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: العلامة المجلسي(ت:١١١١هـ)، تحقيق: إخراج ومقابلة وتصحيح السيد هاشم الرّسولي، نشر: دار الكتب الإسلامية، مطبعة الحيدري(طهران:

١٣٩٨هـ)، ط: ٢، ١٨٦/١٠.

٣٠- ظ: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: العلامة المجلسي(ت: ١١١١هـ)، ١٩٨/١٠.

٣١- ظ: تفسير الميزان: السيد الطباطبائي(ت: ١٤٠٢هـ)، ٢٦٦/٣.

٣٢- ظ: التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية(ت: ١٤٠٠هـ)، ٣٢٢/٧.

٣٣- ظ: تفسير الميزان: السيد الطباطبائي(ت: ١٤٠٢هـ)، ٢٨١/١٩.

٣٤- ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٣٦١/١٨.

٣٥- ظ: تفسير الميزان: السيد الطباطبائي(ت: ١٤٠٢هـ)، ٢٩/٢٠.

٣٦- ظ: تفسير مقتنيات الدرر: مير سيد علي الحائري الطهراني(ت: ١٣٥٣هـ)، ٢٩٤/١١.

٣٧- ظ: تفسير الميزان: السيد الطباطبائي(ت: ١٤٠٢هـ)، ٨٧/٢٠.

٣٨- الكافي: للكليني(ت: ٣٢٩هـ)، ٣٠٩/٢.

٣٩- ظ: المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء: الفيض الكاشاني(ت: ١٠٩١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، نشر: دفتر انتشارات اسلامى وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه، مطبعة: حيدري(قم المقدسة: بلا)، ط:٦،٢/٢٣٢.

٤٠- ظ: تفسير الآلوسي: الآلوسي(ت: ١٢٧٠هـ)، ١٨٧/١١.

٤١- ظ: تفسير جوامع الجامع: الشيخ الطبرسي(ت: ٥٤٨هـ)، ٧٤٣/٢.

٤٢- ظ: تقريب القرآن إلى الأذهان: السيد محمد الحسيني الشيرازي(ت: ١٤٢٢هـ)، ١٥٦/٤.

٤٣- ظ: تفسير مجمع البيان: الشيخ الطبرسي(ت: ٥٤٨هـ)،٤٤٠/٧.

٤٤- ظ : التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية(ت: ١٤٠٠هـ)، ٦٧/٦.

٤٥- ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٢٣٨/١٢.

٤٦- نهج البلاغة: خطب الإمام علي(ع)، ٧٥/٤.

٤٧- ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٣٨٩/١٢ـ ٣٩٠.

٤٨- ظ: زبدة التفاسير: الملا فتح الله الكاشاني(ت: ٩٨٨هـ)، ٢٢٧/٥.

٤٩- ظ: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: الشيخ حسن المصطفوي، ٦٧/٩.

٥٠- ظ: العلامة المجلسي(ت: ١١١١هـ)، ١٧/٥.

٥١- ظ: تفسير الرازي: فخر الدين الرازي(ت: ٦٠٦هـ)، ٦٤/٢٩.

٥٢- ظ: التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية(ت: ١٤٠٠هـ)، ٤٩٣/٥.

٥٣- ظ: التفسير الصافي: الفيض الكاشاني(ت: ١٠٩١هـ)، ١٩٨/٥.

٥٤- ظ: تفسير مقتنيات الدرر: مير سيد علي الحائري الطهراني(ت: ١٣٥٣هـ)، ١٩٠/١١.

٥٥- ظ: التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية(ت: ١٤٠٠هـ)، ٣٦٩/٧.

٥٦- ظ: تقريب القرآن إلى الأذهان: السيد محمد الحسيني الشيرازي(ت: ١٤٢٢هـ)، ٢١٣/٢.

٥٧- ظ: التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي(ت: ٤٦٠هـ)، ٤٦٥/٤.

٥٨- ظ: التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية(ت: ١٤٠٠هـ)، ٣٦١/٣.

٥٩- ظ: البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم البحراني(ت: ١١٠٧هـ)، ٦٣٣/٢.

٦٠- ظ: البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم البحراني(ت: ١١٠٧هـ)، ٦٣٣/٢.

٦١- ظ: تفسير مقتنيات الدرر: مير سيد علي الحائري الطهراني(ت: ١٣٥٣هـ)، ٣٦٥/٤-٣٦٦.

٦٢- ظ: تقريب القرآن إلى الأذهان: السيد محمد الحسيني الشيرازي(ت: ١٤٢٢هـ)، ٢١٥/٢.

٦٣- ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي(معاصر)، ٣٧١/١٥.

٦٤- ظ: تفسير مقتنيات الدرر: مير سيد علي الحائري الطهراني(ت: ١٣٥٣هـ)، ٣٦٥/٤-٣٦٦.

٦٥- ظ: تفسير الميزان: السيد الطباطبائي(ت: ١٤٠٢هـ)، ١٨٧/٨.

٦٦- نهج البلاغة: للإمام علي(ع)، ٢٢٠/١.

٦٧- ظ: تفسير مجمع البيان: الشيخ الطبرسي(ت: ٥٤٨هـ)، ١٢/٩.

٦٨- ظ: التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية(ت: ١٤٠٠هـ)، ٤٨٣/٦.

٦٩- ظ: زبدة التفاسير: الملا فتح الله الكاشاني(ت: ٩٨٨هـ)، ١٧٥/٦.

٧٠- ظ: تفسير مقتنيات الدرر: مير سيد علي الحائري الطهراني(ت: ١٣٥٣هـ)، ٢٩٣/٩.

٧١- ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي(معاصر)، ١٦٣/٨.

٧٢- ظ: تفسير الميزان: السيد الطباطبائي(ت: ١٤٠٢هـ)، ٣٧٦/١٧.

٧٣- ظ: زبدة التفاسير: الملا فتح الله الكاشاني(ت: ٩٨٨هـ)، ١٧٥/٦.

المصادر :

١- الاختصاص: الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، محمود الزرندي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت (١٤١٤هـ)، ط: ٢.

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي(معاصر)، مكتبة أهل البيت الرقمية، ط: بلا.

٣- بحار الأنوار: العلامة المجلسي(ت: ١١١١هـ)، نشر: مؤسسة الوفاء(بيروت: ١٤٠٣ه)، دار إحياء التراث العربي(بيروت)، ط:٢.

٤- البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم البحراني(ت: ١١٠٧هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية، طباعة ونشر: مؤسسة البعثة(قم المقدسة: بلا)، تقديم: الشيخ محمد مهدي الآصفي.

٥- التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي(ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي، طباعة ونشر : مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي(بلا: ١٤٠٩ه) ط:١.

٦- تحفة السنية في شرح نخبة المحسنية: السيد عبد الله الجزائري, (ت: ١١٧٣هـ)، تحقيق: شرح الجزائري.

٧- التحقيق في كلمات القرآن الكريم: الشيخ حسن المصطفوي(معاصر)، نشر: مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي(بلا : ١٤١٧ه)، ط: ١.

٨- تفسير الآلوسي: الآلوسي(ت: ١٢٧٠هـ)، مكتبة أهل البيت الرقمية.

٩- تفسير الرازي: فخر الدين الرازي(ت: ٦٠٦هـ)، مكتبة أهل البيت الرقمية.

١٠- تفسير السلمي: السلمي(ت: ٤١٢هـ)،

تحقيق: سيد عمران، طباعة ونشر: دار الكتب العلمية(بيروت: ١٤٢١هـ)، ط:١.
١١- تفسير السمعاني: السمعاني(ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، طباعة ونشر: دار الوطن(الرياض: ١٤١٨هـ)، ط: ١.
١٢- التفسير الصافي: الفيض الكاشاني(ت: ١٠٩١هـ)، صححه وعلق عليه الشيخ حسين الاعلمي، طباعة ونشر: مؤسسة الاعلمي(بيروت:١٤٢٩هـ)، ط:١.
١٣- التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية(ت: ١٤٠٠هـ)، نشر: دار العلم للملايين(بيروت: ١٩٨١م)، ط: ٣.
١٤- تفسير الميزان: السيد الطباطبائي(ت: ١٤٠٢هـ)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية(قم المقدسة: بلا)، ط: بلا.
١٥- تفسير جوامع الجامع: الشيخ الطبرسي(ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي، طباعة ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين(قم المشرفة: ١٤١٨ه)، ط:١.
١٦- تفسير مجمع البيان: الشيخ الطبرسي(ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات(بيروت: ١٤١٥ه)، ط: ١.
١٧- تفسير مقتنيات الدرر: مير سيد علي الحائري الطهراني (ت: ١٣٥٣هـ)، نشر: الشيخ محمد الآخوندي مدير دار الكتب الإسلامية، مطبعة: الحيدري(طهران: ١٣٣٧ ش)، ط: بلا.
١٨- تقريب القرآن إلى الأذهان: السيد محمد الحسيني الشيرازي(ت: ١٤٢٢هـ)،
١٩- تقرير بحث الإمامة الإلهية: الشيخ محمد السند للسيد بحر العلوم ، تحقيق: صادق الشيخ محمد رضا الساعدي، منشورات الإجتهاد, قم المقدسة: ١٤٢٧هـ)، ط:١.
٢٠- حاشية ابن ادريس على الصحيفة السجادية: ابن إدريس الحلي(ت: ٥٩٨هـ)، تحقيق وتقديم محمد مهدي الموسوي الخرسان، نشر: العتبة العلوية, النجف الأشرف(١٤٢٩هـ)، ط:١.
٢١-رسائل الشريف: الشريف المرتضى(المتوفى: ٤٣٦هـ)، تم التحقيق من قبل أحمد الحسيني قد عُدمن قبل مهدي الرجائي، الناشر, دار القرآن، الخيام للطباعة قم, (١٤٠٥هـ)، ط: ١.
٢٢- زبدة التفاسير: الملا فتح الله الكاشاني(ت: ٩٨٨هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف،مطبعة: پاسدار اسلام(قم المقدسة: ١٤٢٣ه)، ط: ١.
٢٣- الفروق اللغوية: أبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، نشر:مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين, قم المشرفة(١٤١٢ه)، ط: ١.
٢٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي(ت: ١٠٣١هـ)، تحقيق: تصحيح أحمد عبد السلام، طباعة: دار الكتب العلمية(بيروت: ١٤١٥هـ)، ط:١.
٢٥- الكافي: للكليني(ت: ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، مطبعة: حيدري(طهران: ١٣٦٥ش)، ط: ٤.
٢٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ)، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم(مصر: ١٣٨٥هـ)، ط: بلا.
٢٧- المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء: الفيض الكاشاني(ت: ١٠٩١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، نشر: دفتر

انتشارات اسلامى وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه، مطبعة: حيدري(قم المقدسة: بلا)، ط:٢.

٢٨- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: العلامة المجلسي(ت:١١١١هـ)، تحقيق: إخراج ومقابلة وتصحيح السيد هاشم الرّسولي،

٢٩- مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي(ت: ١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث(بيروت: ١٤٠٨هـ)، ط:٢.

٣٠- مصباح الهدى في شرح عروة الوثقى: الشيخ محمد تقي الآملي(ت: ١٣٩١هـ)، نشر: بلا، مطبعة: مصطفوي(ايران: ١٣٨١هـ)، ط: ١.

٣١-المواقف: الإيجي, (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل للطباعة ونشر, (بيروت: ١٤١٧هـ)، ط: ١.

٣٢-الموسوعة الفقهية الميسرة: الشيخ محمد علي الأنصاري(معاصر)، : مجمع الفكر الإسلامي، مطبعة: مؤسسة الهادي(بلا: ١٤١٨هـ)، ط: ١.

٣٣- النخبة في الحكمة العملية والأحكام الشرعية: محمد بن إبراهيم بن علي الكاشاني الملقب بالفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، حقق وقدم من قبل, مهدي الأنصاري القمّي، تم نشره في, مركز الطباعة والنشر, التابع لمنظّمة الإعلام الإسلامي، مطبعة: رويداد(بلا: ١٤١٨هـ)، ط: ٢.

٣٤- نهج البلاغة: للإمام علي(ع) نشر: دار الكتب الإسلامية، مطبعة الحيدري(طهران: ١٣٩٨هـ)، ط: ٢.

٣٥-الوافي: الفيض الكاشاني(ت: ١٠٩١هـ)، عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني « العلامة » الأصفهاني، مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (ع) العامة، طباعة أفست نشاط (صفهان: ١٤٠٦ هـ)، ط:١.

٣٦-